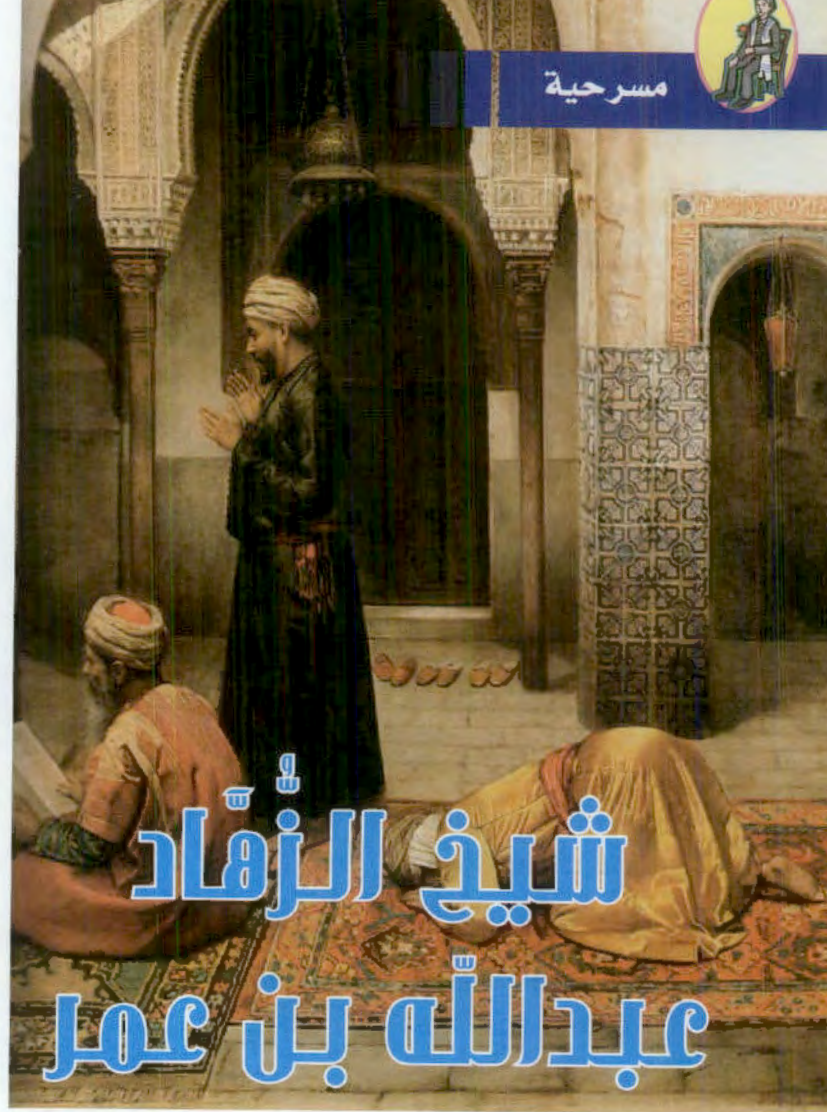




د. غازي مختار طليمات - سورية

مسرحية شعرية تاريخية من ثلاثة مشاهد



شيخ الزُّمَاد عبدالله بن عمر

المشهد الأول

(يكشف الستار عن حجرة رثة الأثاث، فيها كهل
جسيم وسيم وافر الشعر مختضب اللحية، وبين يديه
فتى يشبهه في القسمات)
الفتى: أبتاه، إلام ستستتر؟
برداء يوشك يندثر!!
الأب: ستره جديداً
لو أبصرت تليداً
يلبسه «عمر»
الابن: من مثل «أبي حفص»
لا البدو تطيق نقاه
ولا الحضرة
الأب: تقواه القدوة لي

زمانها: النصف الأول من القرن الأول الهجري.

مكانها: المدينة المنورة.

موضوعها: زهد عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي
الله عنهما، وهو على الترف قادر

شخصها:

- عبدالله بن عمر بن الخطاب الصحابي الجليل (ت: ٧٣هـ)

- أبو عبدالله نافع مولى ابن عمر وأصدق الرواة عنه
(ت: ١١٧هـ).

- عبدالرحمن بن عبدالله بن عمر

- قرعة: شاب حاول أن يهدي ابن عمر ثوبا رقيقا
فأبى.

- غلام يرفع الفم وسيد.

وبها لو لم يأمرني أأتمر
إن عاتبني في اللبس أبي
فأجبنني:

كيف سأعذر؟

أولاني من تقواه هدىً
حوالي ينداح وينتشر
فمتى أسرفت يطف منه طيفٌ

فيبارحني البطرُ

الابن: لم تسرف قط ولم تترف

فعلام يخامركَ الكدرُ؟

جدي «الفاروق» مؤدبنا والقُدوةُ

كلنا بشرُ

والدنيا تعرض زينتها

والعاقل يأخذ أو يذرُ

الأب: عرَضت، لكننا أعرضنا عنها

والمؤمن يعتبرُ

والعبرة فيم حسبوها تبقى

بقيت

الابن:

الأب:

لكن غبروا

فتولى عنها من فتوا

وتهاوى فيها ما عمروا

حسبوها ذخراً فادخروا

أو ربحاً يكسب فاتجروا

ومضوا ورداؤهم كفنٌ

والقصرُ ضريحٌ يحتفرُ

يا «عبد الرحمن» الدنيا بالمكرِ

علينا نتنصرُ

عبد الرحمن: الله يحل زينتها

لا قومٌ بالبذخ افتخروا

فلماذا نزهد فيما حل؟

لكيلا يدركنا الخطرُ

الأب:

الدنيا تُفري زينتها

حتى ينصاع لها الأشرُ

والى المكروه من المسموح به

ينساب ويقتسرُ

والى المحظور من المكروه

مع الفساق سينحدرُ

عبد الرحمن (مشيراً إلى أبيه):

أو «عبد الله بن الفاروق»

يخاف الفتنة؟

ما الخبرُ؟

عبد الله بن عمر: أنا لست نبياً معصوماً

ولننفي في الدنيا وطراً

فإذا أملت لها

غرقت في البذخ

وجانبها الحذرُ

(يدخل الحجرة شاب أجنبي السمات عربي)

اللسان، وإلى جانبه شاب آخر)

الأجنبي السمات: (مشيراً إلى الشاب الآخر):

جئت يا مولاي «عبد الله»

والحرُّ على الناس شديدٌ

وأتى «قرعة» مزهواً بثوبٍ

من «خراسان» جديدٌ

قرعة: أنا لا أزهى

إذا لم يلبس الثوب الجديد «ابن عمر»

فهو لم ينسج لثلي

بل لمن أمسى إماماً للبشرُ

فإذا سار به

أمتع بالدين وبالدنيا البصرُ

كالذي تشرق من تقواه شمسٌ

ومن الثوب قمرُ

ابن عمر: أرني الثوبَ



وأصَبَ مما صنعنا من طعامٍ
ودع الأغنام ترعى
في وئامٍ وسلامٍ
فهي ليست منك أولى
الغلام: هي أولى
ابن عمر: لم؟
الغلام: لم تنو الصيام
ابن عمر: أنويت الصوم؟
هذا اليوم
والجو جعيٌّ وضرام؟
الغلام: أين حرُّ الجو من نار
بها يُشوى الأنام؟
من ضرامٍ أبديٍّ الجمرِ
ما دمنا ودام
نافع: قد دعوناكَ فأفطرْ
وغداً أو بعدَ يومين تصوم
الغلام: أكفيلُ أنت لي بالعيشِ
والموتُ على رأسي يحوم؟
نافع: لا، ومن يضمنُ أن النائم الليلة؟
مِنْ نومٍ يقوم؟

أراه من حريرٍ
وثيابي من وبرٍ
الأجنبي القسمات (بعد أن يتناول الثوب ويتلمسه
بأصابعه):
أنا من «كابل»
أدرى منك بالثوب: حريرٌ أم شعر؟
هو من قُطنٍ
ولكن برعَ الناسُجُ
والقُطنُ ازدهرُ
فبدا كالخزِّ والديباجِ
إمتاعاً وسحراً للنظرِ
ابن عمر: نحّه يا «نافع» عني
ليس لي في مثله أدنى وطَرٍ
نافع: قد يقيلك الحرُّ
ابن عمر: نفح النار في الأخرى أحرَّ
لا يُحبُّ الله من أسرفَ واختالَ
وبالبدخ افتخرَ
نَحّه
وامضِ إلى مَنْ قد دعونا للثريدِ
في ظلال النخل
حقُّ الضيفِ أولى من جديدٍ وعتيدٍ
وخيارُ القومِ
هذا اليومِ
أضيائي، فيا لي من سعيد!!

المشهد الثاني

(يكشف الستار عن مائدة بسطت تحت نخلات
وارفات، يجلس إليها ابن عمر ونافع ونضر من
الضيوف، ويمر بالمائدة غلام أسود يسوق قطيعاً من
الغنم)
ابن عمر: أدن منا يا غلام



ربما صار من المهد إلى اللحد
 كما تهمل إلى الأرض الغيوم
 أو كما تغمض بعد الفجر
 أحداق النجوم
 الغلام: فلم التأجيل؟
 والتعجيل أولى بحياة لا تدوم؟
 ابن عمر: صدق الصائم
 والمفطر جافاه الصواب
 فليكن إفطاره حقا علينا
 ومن الله الثواب
 الغلام: حسبى الله
 فرب الخلق يقضي:
 بثواب أو عقاب
 إنني راض بما يقضي
 ولا أعيأ بجوع أو لؤاب



ابن عمر: يا فتى بعني خروفا من قطيعك
 وامنض في الرعي إلى المغرب
 وارجع من ربوعك
 وعلي الذبح والطبخ
 وإعداد طعام بعد جوعك
 وستلقاه شهياً ناضجاً
 عند رجوعك
 الغلام: ليس لي من كل ما أراعاه شاة أو حمل
 وإذا أفطرت
 فالتمر طعامي
 حيثما الإفطار حل
 وإذا بعتك شاة
 بعث ديني
 وشوى وجهي الخجل
 وتجلجت بما أهذي
 إذا مولاي عنها قد سألت
 ابن عمر: قل لمولايك:
 عدا ذئب على الشاة
 وطرفه عنه غافل
 مثلما قال بنو يعقوب عن «يوسف»
 الغلام: قول غير طائل
 ابن عمر: طائل إن بعثتي الشاة بمال
 الغلام: إن هذا المال زائل
 ابن عمر: ليس بالزائل إن تذخره للحاجة
 في وقت النوازل
 فخذ المال
 وعد كي تقطر اليوم على أشهى المأكّل
 وعلي الصمت عن سرّك
 عمّا أنت فاعل
 الغلام: أي صمت أي سر؟
 وإلهي عالم سرّي وجّهري!!



وعن الأسرارِ رَغَمَ الصمتِ
ينضو كُلُّ سترٍ
فاضحاً كُلَّ خفيٍّ
كاشفاً عن كُلِّ صدرٍ
مثلما أفرَجَ عن «يوسف»
بعد المكثِ في هُوَّةِ بئرٍ
لا، ولو أُعْطِيتُ وزنَ الشاةِ
مِنْ دُرٍّ وَتَبَرٍ

وظلّل من تعيلهم الرِّفاهُ
ابن عمر: وحيّاك الذي حَيَّيتَ
أهلاً وسهلاً

أرتضي الإملاقَ
لا الكيِّ بتبرٍ
يلذّعُ الجنبَ كَجَمَرٍ
(ثم يمضي الغلام غاضباً ويسدل الستار)

لا يفرّك ما تراهُ
فما الدنيا سوى جِسَرٍ لجانٍ
وفوق الجسرِ يتركُ ما جناهُ
الرجل: أتاني «نافع» مولاكُ

الحشهد الثالث

(يكشف الستار عن ابن عمر وولده وهما في
الحجرة، ويدخل عليهما نافع)
نافع: سألتُ عن الغلامِ
فقيل: عبْدٌ

يبغي غلاماً
ليس يحسُدُ مَنْ شراهُ
فما هو غيرُ راعٍ في فلاةٍ
صحابتهُ الجمالُ أو الشياهُ
فما أغراكُ في عبد ضئيلٍ؟
سجيئتهُ البلاءُ والسفاهُ

ومولاهُ لبيع مُستعدٌ
ابن عمر: متى سنزور مولاهُ؟
نافع: سيأتي

وما تبغيه منه لا يُردُ
ابن عمر: وكيف عرفتَ ما أبغيه؟
نفسي تحدّثني

ولكنّ زانه ورّع هداهُ
سفيههُ؟

وما تنويه يبدو..
على عينيك لا يخفى علينا
وصمتك بالذي تطويه يشدو
عبد الرحمن: وما تطوي؟

قلّ: وجيههُ
ليت أني حُبيتُ بما إلهي قد حياهُ
بتقوى

ابن عمر: ستعلم حين يأتي
فيعطني، أو يساوم، أو يصدُّ

والتقى أرقى وأبقى
لدى الإنسان من كنزِ حواهُ
عبد الرحمن: أبتاهُ التقوى والورع...

(يدخل الحجرة كهل يصطحب الغلام الراعي)
الرجل: أ «عبد الله» حيّاك الإلهُ